الخلافة عند الشيعة الاثني عشرية

The Caliphate from a Twelver Shiites perspective

صالح غضباني

جامعة الزيتونة (تونس)، salah.ghodbani@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/02/23 تاريخ القبول:2023/02/26 تاريخ النشر:2023/03/30.

ملخّص: يؤمن الشيعة الاثني عشرية أنّ نصب الإمام أو خليفة المسلمين أمر عقدي، حسمه الوحي، فلا بد أن ينص الاله على الخليفة، ويوصي الرسول صلى الله عليه وسلم له بذلك. وقد وقع جراء هذا الاعتقاد خلاف كبير، أدى إلى بروز قراءتين مختلفتين. لذلك يرى الشيعة أن الخلافة والإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هي من نصيب علي رضي الله عنه، وقد ثبت له ذلك بالقرآن والسنة، في حين حصل تعد كبير، وظلم عظيم من جلّ الصحابة، ومنعوا عليا رضي الله عنه حقه، ومن بعده أبناءه. وعلى هذا الرأي بنى الشيعة عقيدتهم.

الكلمات المفتاحية: الخلافة، الشيعة.

Abstract : The Twelver Shiites believe that the appointment of the imam or caliph of the Muslims is a matter that is strictly related to doctrine and decided by divine revelation. So the caliph according to them has to be chosen by God, and recommended by the Messenger, (may God's prayers and peace be upon him). As a consequence of this belief, a major disagreement ensued leading to the emergence of two different interpretations. Therefore, the Shiites believe that, as proven by the Qur'an and Sunnah, the caliphate and the imamate after the Messenger of God, (may God's prayers and peace be upon him), is the exclusive right of Ali, (may God be pleased with him). However he was the victim of a great injustice when he and his descendants were denied this right by the Companions. It is this particular perspective which has greatly shaped the Shiite faith

Keywords: the capliphate_ shiites.

مقدمة:

يعتقد الشّيعة أنّ الإمامة ركن من أركان الدّين، وعلى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أن يبيّنها للنّاس، كما يجزمون أنّها لعلي بن أبي طالب، ولأحد عشر إماما معصوما من أولاده، تمّ النصّ عليهم والوصيّة لهم بذلك، ويستدلّون على ذلك بجملة من الأدلّة النّقليّة والعقليّة الّتي تخدم هذه العقيدة. وقد خالفوا بذلك السّواد الأعظم للأمّة.

فماهي هذه الأدلة؟

وما مدى وجاهتها وصحتها؟

1- تعريف الشّيعة

لغة :

شاع الشّيئ يشيع شيوعا ظهر، ويتعدّى بالحرف والألف، فيقال شعت به وأشعته.

والشّيعة الاتّباع والأنصار، وكلّ قوم اجتموا على أمر فهم شيعة، ثمّ صارت الشّيعة نبزا لجماعة مخصوصة، والجمع شيع والأشياع جمع الجمع، وشيّعت رمضان بست من شوال أتبعته بها، وشيّعت الضّيف خرجت معه عند رحيله إكراما له وهو التّوديع .[1]

وقال أيضا: والشّيعة قوم يتشيّعون، أي يهوون أهواء قوم ويتابعونهم، وشيعة الرّجل أصحابه وأتباعه.[2]

اصطلاحا:

التّشيّع هو الاعتقاد بآراء وأفكار معيّنة،وقد اختلف الباحثون في هذه الافكار والأدّلة كثرة وقلّة.

وانطلاقا من كون التّشيّع إعتقاد بآراء معيّنة ذهب الباحثون فيه بين تضييق المفهوم وتوسيعه، وهذه نماذج من تعريفاتهم .

الشّيعة قوم يهوون هوى عترة النّبي محمد صلّى الله عليه وسلّم ويوالونهم.[3]

شيعة الرّجل: أتباعه وأنصاره، يقال شايعه كما يقال والاه...وتشيّع الرّجل اي ادّعى دعولى الشّيعة.[4]

قال الخليل بن احمد الفراهيدي: والمشايعة متابعتك إنسانا على أمر.[5]

فالشّيعة من المشايعة والمتابعة والمناصرة والموالاة، والشّيعة فرقة من الفرق الّتي تنسب للإسلام ويرون تقديم عليّ على عثمان، وأكثرهم يقدّمه على أبي بكر وعمر ولهم فيهما أقوال ...ولهم أقوال كثيرة واختلافات قد ذكرت في المقالات .[6]

والظّاهر ممّا سبق أنّ التّشيّع لغة واصطلاحا يتضمّن معنى النّصرة والصّحبة من قوم وجماعة لرجل من

النّاس فيكونون عونا له على ما يريد، ويتحزّبون له ويبذلون جهدهم في مشايعته ومطاوعته ومتابعته . والشيعة يقدّمون عليّا رضي الله عنه على غيره لوجود نصوص في ذلك ولاختصاصه بصفات لم تتوفّر في غيره، والتّشيّع هو التزام بإمامة علي وولده من بعده وتقديمه على غيره من الصّحابة لوجود نصوص عندهم، وينتج من ذلك الالتزام بأمرين:

الأوّل : أنّ الإمامة وليدة النّصوص وهي امتداد للنبوّة، يترتّب عليها ما يترتّب على النّبوّة من لوازم عدى الوحي فإنّ نزوله مختصّ بالأنبياء .

الثّاني: أنّ الإمامة لا تتمّ بالانتخاب والإختيار وإنّما بالتّعيين من الله تعالى فهو الّذي ينصّ على الإمام عن طريق النّبي لمؤهّلات تكون فيه يختصّ بها دون غيره، لعلّ أهمّها العصمة .

2- تعيين النّبي صلّى الله عليه وسلم للأئمة والنصّ عليهم:

يرى الشّيعة أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم قد عيّن الأئمّة من بعده وقد ورد:"إنّنا نعتقد أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم هو الّذي عيّن الأئمّة من بعده .... [7]

وورد أيضا " ... إنّ الدّعوة إلى التّشيّع ابتدأت في اليوم الّذي هتف فيه المنقذ الأعظم محمّد صلوات الله وسلامه عليه بكلمة لا إله إلّا الله في شعاب مكّة وجبالها، فكانت الدّعوة للتّشيّع لأبي الحسن من صاحب الرّسالة تمشي جنبا إلى جنب مع الدّعوة للشّهادتين "[8]

ويروي الشّيعة خطبة كاملة للنّبي صلّى الله عليه وسلّم تمّ فيها التّنصيص على عليّ رضي الله عنه وبقيّة الائمّة " قال صلّى الله عليه وآله .... والأصغر عترتي أهل بيتي. أُذكّرِكم الله في أهل بيتي، أُذكّرِكم الله في أهل بيتي، أُذكّرِكم الله في أهل بيتي. ...ثمّ قال "قم يا علي". فقام عليّ (عليه السّلام)، وأقامه النّبي (صلّى الله عليه وآله) عن يمينه وأخذ بيده ورفعها حتّى بان بياض إبطيهما وقال: "من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدِر الحقّ معه حيث دار. فاعلموا معاشر النّاس أنّ الله قد نصّبه لكم وليّاً وإماما مفترضاً طاعته على المهاجرين والأنصار، وعلى التّابعين لهم بإحسان، وعلى البادي والحاضر، وعلى الأعجمي والعربي، والحرّ والمملوك والصّغير والكبير، فقام أحدهم فسأله وقال: يا رسول الله، ولاؤه كماذا؟ فقال (صلى الله عليه وآله): ولاؤه كولائي، من كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه. وأفاض النبي (صلى الله عليه وآله) في بيان مكانة عليّ (عليه السّلام) والعترة الطّاهرة والأئمّة الاثني عشر من بعده والحسن والحسين وتسعة من ذريتة الحسين (عليهم السّلام)، واحدٌ بعد واحد، الّذين هم مع القرآن والقرآن معهم، لا يفارقونه ولا يفارقهم، حتّى يردوا عليّ حوضي..."[9]

يعتقد الشيعة بعدم وجود تفسير مقبول لهذه الرّوايات سوى ما جاء في عقائد الشّيعية الإمامية حول الأئمة الاثنى عشريّة.

وورد أيضا "...لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطّاعة، منصوب من الله تعالى؛ سواء أبى البشر أم لم يأبوا، وسواء ناصروه أم لم يناصروه، أطاعوه أم لم يطيعوه، وسواء كان حاضرا أم غائباً عن أعين النّاس؛ إذ كما يصحّ أن يغيب النّبيّ ـ كغيبته في الغاروالشّعب صحَّ أن يغيب الإمام، ولا فرق في حكم العقل بين طول الغيبة وقصرها"[10].

كما يرى الإماميّة وجوب نصب الإمام على الله لحفظ قوانين الشّرع من التّغيير بالزّيادة أوالنّقصان.

والإمامة نيابة عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وخلافة عنه في كلّ ما لأجله بعث، فهي من توابع النّبوءة وفروعها فكلّ دليل قام على وجوب بعث النّبيّ وإرسال الرّسول فهو دالّ على وجوب نصب الإمام النّائب عنه والقائم مقامه في وظائفه. ولا ريب أنّ ''الإمام'' كذلك مثل النّبي فنصب الإمام واجب على الله كبعث النّبي لتكون ﴿لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام: 149]، كذلك ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ [النّساء: 165]حينئذ لا يقال ''أنّه لا وجوب عليه تعالى والحكم للعقل في مثل ذلك، لأنّ معنى هذا الوجوب العقليّ أن نعرف الله ونعبده وهذا هو الغرض من الخلق، حيث قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات: 6]ولو لم يعرفه لكان ناقصا لغرضه الّذي أوجده الله من أجله وقد قال تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص:8]ومن ذلك ما ثبت على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عندما عرض نفسه على بعض القبائل فقالوا له:''

أرأيت إن نحن بايعناك ثمّ أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك، قال الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء.''[11]

وهذه أدلّة صريحة على أنّ الإمام لابدّ أن يُنصّب من لدن ربّ العالمين ولا دخل لنا في ذلك. قال أبو جعفر الطّوسي ''فصل في إيجاب النص على الإمام أو ما يقوم مقامه.''[12]

كما يجب "...أن نعتقد أنّ الله تعالى لم يخلق خلقا أفضل من محمّد والأئمّة، وأنّهم أحبّ الخلق إلى الله، وأكرمهم عليه، وأوّلهم إقرارا به لما أخذ الله ميثاق النّبيّين ﴿**وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾،[الأعراف:172]... أن أمرهم أمر الله تعالى، ونهيهم نهي الله تعالى، وطاعتهم طاعة الله تعالى، ووليّهم وليّ الله تعالى، وعدوّهم عدوّ الله تعالى، ومعصيتهم معصية الله تعالى[13].

ألا يعني هذا ما أراد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم تأكيده في السّاعات الأخيرة من عمره الشّريف إذ قال ''آتوني أكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده أبدا'' وعدم استجابة من حوله لأنّهم يعلمون أنّه لو كتب لكان عليّا عليه السّلام خليفة بعده، كذلك من الآيات: آية الإنذار أو الدّار قال تعالى﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء:214]كذلك آية الولاية ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة:55]وهذه الآية نزلت في الإمام عليّ عليه السّلام باتّفاق أهل السّنة والشّيعة.

كذلك آية المودّة ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى:23] المراد بالقربى هم أقرباء النّبي وأهل بيته باتّفاق المسلمين، وقد نزلت في إمامة عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام وأنّ مودّتهم هي التّسليم لهم بالإمامة دون غيرهم ومن وجبت مودّته وجبت طاعته بمقتضى قوله تعالى ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي**﴾ [آل عمران:31] فتكون هذه الآية عندنا البرهان على أنّها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين.

وقال: يا بريدة أما علمت أنّ لعليّ أكثر من الجارية الّتي أخذها ''إنه وليّكم بعدي''. فالنّبي صلّى الله عليه وسلّم قد أثبت في هذا الحديث الولاية المطلقة لعليّ عليه السّلام على كافّة المسلمين دون استثناء بما فيهم أبا بكر وعمر، لأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يستثني أحدا.[14]

وفي رواية أخرى قال صلّى الله عليه وسلّم'' يا بريدة إنّ عليّا وليّكم بعدي فأحبّ عليّا فإنّه يفعل ما يؤمر''.

كما يردّ الاماميّة على أهل السنّة حين اعترفوا بالإمامة لأبي بكر وعمر بن الخطّاب رضي الله عنهما ويتّهمونهم بالتّستّر على حقيقة إمامة عليّ رضي الله عنه وأحقيّته وأبناؤه بها دون سواه، ويعمدون إلى التّعمية والتّدليس.

ويوردون على ذلك أمثلة كثيرة سأعرض واحدا منها، وقد ورد: "ليست لهم مناقشة تسمع وتستحق الذّكر، إلاّ مناقشتهم في معنى «وليّكم»، لاحتمال أنْ يكون المراد: عليّ ناصركم، عليّ محبّكم من بعدي.

لكن الحديث بقرائنه الداخليّة وقرائنه الخارجيّة والقصّة بأجمعها تأبى كلّ هذه التّشكيكات وهم أيضاً يعلمون بهذا، هم المستشكلون يعلمون.

ولذا يضطرّون إلى اللّجوء إلى طريقة أُخرى، تلك الطّريقة هي تحريف الحديث، وقد ذكرت هنا بعض مواضع تحريفاتهم.

مثلاً: إذا راجعتم صحيح البخاري[15] ، ترونه يروي بسنده عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه . نفس السند . يقول: بعث النّبي صلّى الله عليه وسلم عليّا إلى خالد ليقبض الخمس، يقول بريدة: وكنت أُبغض عليّاً وقد اغتسل . التّقطيع في الحديث واضح، فمن يدقّق النّظر في لفظ هذا الحديث المبتور يرى أنّ فيه تقطيعاً ! يرى أنّ فيه تحريفاً! . لاحظوا: بعث النبي (صلى الله عليه وسلم) عليّاً إلى خالد ليقبض الخمس وكنت أُبغض عليّاً وقد اغتسل، فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا، فلمّا قدمنا على النبي ذكرت ذلك له .

لا يقول: تنقّصت عليّاً عند النبي، لا يقول: أمرني خالد، ولا، ولا، ولا، يقول :. وكأنّه يذكر قضيةً طبيعية . ذكرت ذلك له فقال: «يا بريدة، أتبغض عليّاً؟» فقلت: نعم، فقال: «لا تبغضه فإنّ له في الخمس أكثر من ذلك فأين حديث «عليّ منّي وأنا من علي، وهو وليّكم من بعدي»؟ هذا لفظ البخاري.

وإذا راجعتم البيهقي[16] في سننه ، البيهقي تلميذ الحاكم النيسابوري، قرأت لكم لفظ الحاكم النيسابوري في مستدركه، وهو أيضاً يروي الحديث عن الحاكم، البيهقي يروي الحديث عن شيخه الحاكم بإسناده ويسقط من آخره: «إنّ عليّاً منّي وأنا من عليّ وهو وليّكم من بعدي»، لا يوجد هذا في سنن البيهقي وإذا راجعتم مصابيح السنّة[17] للبغوي، الذي هو من أهم كتب الحديث عندهم، ترون أنّه لا توجد فيه كلمة "بعدي"، ففيه: «علي منّي وأنا من علي وهو وليّكم ».

فعندما تسقط كلمة «بعدي» يصبح عليّ لائقاً للولاية أو منصوباً للولاية من قبل النبي، لكنْ متى؟ لِيكنْ بعد عثمان!

وإذا راجعتم المشكاة يروي هذا الحديث عن الترمذي بلا لفظة «بعدي»، أي ينسب هذا الحديث المحرّف إلى الترمذي، مع أنّ الحديث موجود في الترمذي مع كلمة «بعدي» وكأنّهم لا يشعرون أنّ هناك ناظراً في الكتاب، أنّ هناك من يقرأ كتابه، أنّ هناك من يرجع إلى صحيح الترمذي ويطابق بين النقلين وبين اللفظين، لكنّهم لا يستحون... فلماذا التحريف؟ ولماذا التكذيب لبعض الألفاظ؟ ولبعض الخصوصيات الموجودة في الحديث؟ لننكر أصل الحديث ونرتاح **(فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)** [البقرة:79]

(فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) [النساء:65][18].

الخاتمة:

- يجزم الشّيعة بضرورة نصب الامام من لدن ربّ العزّة وبأمر منه وبوصيّة من النّبي صلّى الله عليه وسلّم.
- ويعتقد الشيعة أنّ ما وقع في التّاريخ الاسلامي من تولية أبي بكر الصديق وعمر بن الخطّاب رضي الله

عنهما كانت بمؤامرة منهما ومن جلّ الصّحابة، ويوردون على ذلك أدلّة عقليّة ونقليّة تعجّ بها كتبهم ومجالسهم.

- كما يتوعّدون جلّ الصّحابة بالويل والثّبور عدا عدد محدود منهم يعتقدون أنّهم كانوا يناصرون عليّا رضي الله عنه.
- والشيعة يتّهمون جلّ المسلمين بمخالفة أمر الله تعالى والتّعدي على أوامره، ويصل بهم التّطاول للنّيل من أمّهات المؤمنين ورميهم بافضع انواع الرّذائل والتّهم، ومن ورائهم شخص النّبي صلّى الله عليه وسلم تصريحا وتلميحا، لعدم كتابة عهد للمسلين يعهد من خلاله صراحة بالامامة لعليّ رضي الله عنه.

هوامش البحث ومصادرها:

1- الفيومي(أحمد)،(770هـ/1368م) **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية، بيروت،ج1، ص329.

2- **ن .م**، ص191

3- الازهري (محمد)،(ت 370هـ/981م) **تهذيب اللغة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001،ج 3، ص 40.

4- الجهوري (اسماعيل)،(ت393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، دار الحديث، القاهرة، 2009 ،ص627

5- الفراهيدي (الخليل)،(ت170هـ/786م) **العين**، دار ومكتبة الهلال،ج2، ص 190 .

6- الحميري (نشوان)، (573هـ/1178م)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، دار الفكر، 1420هـ/1999م، ج6، ص 3598

7- الشيرازي (مكارم) ، (ولد 1345هـ/1924م)، **عقائدنا**،(د ط) ص 50 .

3- مظفر (محمد)،(ت1375هـ) **تاريخ الشيعة**،**(د ط)** ص8-9 .

1- القمي (محمد)، (ت381هـ/991م)، **الاعتقادات**، مركز الابحاث العقائدية، (د ط) ص23-25.

2- المظفر (محمد رضا)، (1383هـ)، **عقائد الامامية**، مركز الأبحاث العقائدية، (د ط) ص 89.

11 - ابن هشام (جمال الدّين)، (761هـ/1360م)، **السّيرة النّبويّة**، شركة مكتبة، مصر، ط2، 1955م، ج2، ص66

12- الميلاني (السيد علي)، (ت2012م)، **الإمامة في أهم الكتب الكلامية**، (د ط) ص 46-47-49

2 - القمي (محمد)، (ت381هـ/991م)، **الاعتقادات**، مركز الابحاث العقائدية، (د ط) ص 94.

14 - ابن الأثير (عزّ الدين)، (555هـ/630م)، **أسد الغابة**، دار الفكر، بيروت، د ط، 1989م، ج3، ص604.

1- البخاري، الصّحيح، (256هـ/870م) ن **دار طوق النجاة**، (د ط)، ط1، 1422هـ، ج5، ص207.

2- البيهقي، السّنن، (ت458هـ)، **جامعة الدّراسات الإسلاميّة**، باكستان، ط1، 1989م، ج6، ص 34

3- البغوي (الحسين)، (ت516هـ/1122م)، **مصابيح السنّة**، ج 4، ص172، رقم 4766 وفيه باختلاف: "وهو وليّ كلّ مؤمن".

18-الطبرسي(علي)، (ت600هـ)، مشكاة الانوار، (د ط)، 1418م، ج3، ص172.